

عيسى عليه السلام - التهئنة بأعياد الكفار

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ
فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ عِيسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلْمَتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرَحْمَةِ
مِنْهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ.

أَمَّا بَعْدُ: فِي أَيْمَانِ الْمُسْلِمِينَ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ -تَعَالَى-، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

أَيُّهَا الْمُسْلِمِونَ: روى عُبَيْدَةُ بْنُ الصَّابِرِ، عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَنْ شَهَدَ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَيْهِ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ" الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

قال النووي -رحمه الله تعالى-: "هذا حديث عظيم جليل الموضع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه -صلى الله عليه وسلم- جمع فيه ما يخرج عن ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأحرف على ما يُبَاينُ به جمِيعَهُمْ".

وفي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ بَيَانٌ فَضْلِ التَّوْحِيدِ، وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الدُّنْوَبِ؛ فَ"مَنْ شَهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"؛ أَيْ: تَكَلَّمُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عَنْ عِلْمٍ وَيَقِينٍ، وَقَبُولٍ وَانْقِيادٍ، وَصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَمَحَبَّةٍ أَنْ لَا إِلَهَ حَقٌّ يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ -تَعَالَى- أَبَدًا، لَا مَلْكٌ

مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
الْمُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كَمَا قَالَ -
تَعَالَى - : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

وَقَوْلُهُ: "وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"؛ أَيْ : يَشَهُدُ عَنْ
عِلْمٍ وَيَقِينٍ وَصِدْقٍ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَتَمَ اللَّهُ
بِرِسَالَتِهِ كُلَّ الرِّسَالَاتِ، وَنَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ كُلَّ الشَّرَائِعِ،
وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَأَنَّ مُقْتَضَى شَهَادَةِ أَنَّهُ عَبْدٌ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ تَتَمَثَّلُ فِي طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا
أَحْبَرَ، وَاجْتِنَابِ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا
شَرَعَ.

وَقَوْلُهُ: "وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"؛ أَيْ : يَشَهُدُ
عَنْ عِلْمٍ وَيَقِينٍ وَصِدْقٍ أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ
اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ! كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا

أُمٌ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلْقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحُقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)، وَقَوْلُهُ: "وَكَلِمَتُهُ"؛ أَيْ: كَلِمَةُ اللَّهِ -تَعَالَى- الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ، وَأَنَّهُ بِهَا كَانَ؛ فَلَيْسَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- نَفْسَ الْكَلِمَةِ! وَإِنَّمَا بِالْكَلِمَةِ كَانَ؛ أَيْ قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ. وَقَوْلُهُ: "أَلْقَاهَا إِلَيْ مَرْيَمَ"؛ أَيْ أَنَّ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- نَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا -وَهِيَ الْفَتْحَةُ عِنْدَ الْعُنْقِ-، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِأَمْرِ اللَّهِ -تَعَالَى-، "وَرُوحٌ مِنْهُ"؛ أَيْ: رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ؛ كَمَا قَالَ -تَعَالَى- : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

وَمِنْ مُقْتَضَى شَهَادَةِ أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ:
أَنْ تَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَا قِيلَ فِي حَقِّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ
السَّلَامُ- مِنْ انْحِرْفَةِ عَنِ الْحَقِّ وَأَسَاءَ لِلْخَالِقِ؛
كَالنَّصَارَى الَّذِينَ سَبُوا اللَّهَ مَسَبَّةً لَمْ يَسُبُّهُ إِلَّا أَحَدٌ
غَيْرُهُمْ، حَيْثُ تَعَدَّدَتْ أَفْوَاهُمْ فِي الْمَسِيحِ عِيسَى -
عَلَيْهِ السَّلَامُ-! حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ -تَعَالَى-
! فَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: (وَيُنَذِّرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
* مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرُتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا).

وَقَالُوا: إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، فَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:
(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ
الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)، وَقَالُوا: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، أَيْ:

يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ شَرِيكَيْنِ هُمَا مَرْيَمُ وَعِيسَى أَوْ رُوحُ الْقَدْسِ جَبْرِيلُ وَعِيسَى - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، فَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

واعتقدوا أنه قتل وصلب، فرد الله عليهم بقوله: (وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَاتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ احْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)، وقوله: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُمْطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : " وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ^١
وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ "؛ أي : يَشْهُدُ يَقِينًا أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ الَّتِي
أَخْبَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْهُمَا فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمَا رَسُولُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَتِهِ ثَابِتَانِ لَا شَكَ فِيهِمَا ،
وَأَنَّهُ أَعَدَّ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَعَدَّ النَّارَ لِلْكَافِرِينَ .

قال : " أَدْخِلْهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ "؛
أَيْ : وَلَوْ كَانَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ؛ فَإِنَّ فَضْلَ تَوْحِيدِ اللَّهِ ،
وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَلِنِيَّتِهِ بِالرِّسَالَةِ ، وَنَفْيِ إِشْرَاكِ
الْمُشْرِكِينَ بِعِيسَى : أَنْ يُدْخِلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ مُقْصِرًا .
فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْرِصُوا عَلَى تَوْحِيدِكُمْ؛
فَهُوَ أَغْلَى مَا يَمْلِكُ الْمُسْلِمُ ، وَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَلَيَعْضَّ
عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ ، وَلَيُصُنْهُ مِمَّا يُنَاقِضُهُ أَوْ يَقْدَحُ فِيهِ أَوْ
يُنَقِّصُهُ .

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْحُكْمَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ
وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهُدُ أَلَا إِلَّا اللَّهُ تَعْظِيمًا لِشَانِهِ، وَأَشْهُدُ
أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَاحِيهِ وَأَعْوَانِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهُ - تَعَالَى - حَقَّ
الْتَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنْ دِينِكُمْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى،
وَاحْرِصُوا عَلَى تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ اللَّهِ - تَعَالَى -، وَنَبْذِ الشِّرْكِ
وَأَهْلِهِ وَالَّذِينَ مِنْهُمُ النَّصَارَى، وَسَعِيتُمْ بَعْضًا مِنْ
عَقَائِدِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ بِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -؛ فَلَا يَجُوزُ
لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشَارِكَهُمْ بِاْحْتِفالَاتِ الْكُفْرِيَّةِ، أَوْ تَهْنِئَهُمْ
بِهَا، أَوْ مُمَارِسَةِ بَعْضٍ مِنْ طُقوسِهِمْ؛ قَالَ ابْنُ الْقِيمِ -

رحمه الله-: "وَأَمَا التَّهْنِئَةُ بِشِعَارِ الْكُفْرِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَحِرَامٌ بِالْإِتْفَاقِ، مُثْلِّ أَنْ يَهْنِئُهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ وَصُومُهُمْ، فَيَقُولُ: عِيدٌ مَبَارَكٌ عَلَيْكُمْ، أَوْ تَهْنَأُ بِهَذَا الْعِيدِ وَنحوه، فَهَذَا إِنْ سَلَمَ قَائِلُهُ مِنَ الْكُفْرِ فَهُوَ مِنَ الْحَرَمَاتِ.

وَهُوَ بِنِزْلَةٍ أَنْ يُهْنِئَهُ بِسُجُودِهِ لِلصَّلِيبِ، بَلْ ذَلِكَ أَعْظَمُ إِثْمًا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَشَدُّ مَقْتاً مِنَ التَّهْنِئَةِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَارْتِكَابِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ وَنحوه. وَكَثِيرٌ مِنْ لَا قَدْرٍ لِلَّدِينِ عِنْدَهُ يَقْعُدُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَدْرِي قَبْحَ مَا فَعَلَ، فَمَنْ هُنَّا عَبْدًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَوْ بِدُعْيَةِ، أَوْ كُفْرٍ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمَقْتَلِ اللَّهِ وَسُخْطَتِهِ".

وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحْمَهُ اللَّهُ: مَنْ بُدِئَءَ بِالْتَّهْنِئَةِ أَلَا يَجِيبُ؟ لَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَعْيَادًا لَنَا، بَلْ هِيَ أَعْيَادٌ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَ- وَقَالَ: "حَتَّى لَوْ كَتَبَهَا لَكَ فَلَا تَجْهِيهُ" .. وَقَالَ: "لَا يَجُوزُ التَّشْبِيهُ بِهِمْ بِإِقَامَةِ الْحَفَلَاتِ

أو أي مظاهر من مظاهر الفرح كتوزيع الهدايا أو الحلوي
أو تعطيل الأعمال أو تنزيل الأسعار ..

حَفِظْنَا اللَّهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالسُّنْنَةِ،
وَأَخْسَنَ حَوَائِنَا، وَرَزَقَنَا الْجَنَّةَ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ كَمَا أَمْرَكُمْ بِذَلِكَ
رَبُّكُمْ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

فَاللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ بِأَنَّا نَشْهُدُ أَنْكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ،
وَلَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُوا أَحَدٌ، أَنْ تَحْفَظْ عَلَى إِيمَانِنَا وَدِينِنَا، وَأَنْ
تُبْحِنِيَا الشَّرَكَ وَمَضَالِّاتَ الْفَتَنِ.